Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

الإيمان المسيحي

وقضايا الغيب

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

المسيحيةُ تاريخانيةٌ. أساسُها شخصٌ وُلِد مثلنا، وعاش معنا، وصُلِب، وقام.

تلك أحداثٌ مُطابقةٌ لواقعٍ تاريخيٍّ، سُطِّرت في "كتاب العهد الجديد". وأيٌّ من هذه الأحداث لم يكن مجردَ روايةٍ، أو خبراً أو خطاباً، أو تعبيراً عن فكرة أو مجموعة أفكار، بل وقائعُ حياةِ شخصٍ، جاء لكي يُعلن لنا حقيقة "الحياة الإلهية" في "حياته الإنسانية".

حُبِل به ووُلِد، لا حسبما نعرف عن كل إنسان، بل حسبما جاء هو لكي يُخبرنا به، ألا وهو "ولادة الإنسان" مرةً ثانيةً "من الله نفسه"، فصار ميلاده "المثال" الذي يجعل خبر ميلاده حقيقةً تُعاش، وهي عودة الإنسان إلى الله كآب لكل البشر، وهو ما صار يُشار إليه بالتبني في أسفار العهد الجديد، لا سيما في إنجيل القديس يوحنا، وبعض رسائل القديس بولس.

ومات يسوعُ مصلوباً، فأعلن من على الصليب رسالة الغفران، ليس بالنطق وحده، بل بقبول لصٍّ صُلِب معه، عُرِف في التقليد الكنسي باسم "ديماس"، أو اللص اليمين.

وقام في اليوم الثالث، فصارت القيامة هي "الاستعلان الحي"، وصارت بؤرة الإنجيل، هي الإنسان ودعوة الإنسان إلى أن يكون في "مُلك الله"، أو "ملكوت السموات"[١]، ودخول الإنسان إلى ملكوت السموات هو "تحوُّلٌ" وتجديدٌ لكيان الإنسان الذي نعبِّر عنه أحياناً باسم "القلب"[٢]، وهو ما نراه في الكتابات القبطية بالذات، حيث

(١) باعتبار أن الاسم الآرامي القديم لله، هو "السموات"، حسب عبارة الرب يسوع نفسه في مثل الابن الضال أو الابن الشاطر: "أخطأت إلى السماء"، أي إلى الله. وأيضاً حسب تعبير الصلاة الربانية: "أبانا الذي في السموات ..".

(٢) "القلب" هو الاسم المصري القديم الذي يعبِّر عن الكيان الإنساني، حتى جاء أبوقراط واعتبر العقل هو محور الحياة الإنسانية، ولذلك كان المصريون في عملية تحنيط الموتى، يحفظون القلب وينزعون "المخ"، الذي كان وربما لا زال يمثل أهم

"القلبُ" هو "الشعور" "والعواطف" و"الفكر" التي تمتزج معاً لتكوّن الوعي بالذات. ومن هنا جاء "معلم الحياة" ليقول: إنه هو "الحياة"، بل حسب الترجمة القبطية: "أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية"، وليس مجرد "الطريق والحق والحياة"، وعلى ذلك صارت هذه الكلمات هي علامات الانتماء إلى الله والإنسانية معاً في آنٍ واحدٍ؛ لأن يسوع المسيح ليس مجرد إلهٍ فقط، ولا هو مجرد إنسانٍ فقط، بل هو الإله المتجسّد الذي أعلن اتحاد الله بالانسان في "شخصه"، لا في "كتابٍ" أو قول.

من هنا بالذات، صارت كلمة "الغيب" لا تنطبق بشكلٍ واضح على المسيحية الأرثوذكسية؛ لأن الإنسانَ ليس "غيباً"، بل هو "حياة كائنة" في الجسد، وفي تاريخ البشر الذي ينتمي اليه كل إنسان. وهكذا دخل الله دنيا الإنسان في شخصٍ عاش ولا يزال يعيش حيَّاً بسبب القيامة، التي جعلت تجسُّدَه حقيقةً أبديةً غلبت أهم معوقات الحياة، وهي الموت، بل وحتى الإيمان والاعتراف بالروح القدس، ومن ثمَّ بالثالوث نفسه، هو اختبارُ التمايز والوحدة. إذ صار الثالوثُ المثالَ الواضح لكل تمايُزٍ، بل واختلافٍ يجمعُ ولا يفرّق، يوحّد ولا يفصل. وصار دخولنا في الحياة الإلهية هو شركة في حياة الله نفسه: "ونحن ناظرين بوجهٍ مكشوف، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها"، أي صورة يسوع نفسه بالتحول من "مجد إلى مجد"؛ لأن ما نراه يحولنا إلى حقيقة ما نراه، أي إلى ذات الرؤيا.

هذه السطور كانت محورَ حديثٍ مع صديقٍ ترك المسيحية إلى الإلحاد، بدعوى أن المسيحية تدعو إلى "مجموعة من الغيبيات" لا وجود لها إلا في عقول الداعين إليها. وعندما طُرِح موضوع الإنسان، وهو المحور الإنساني – الإلهي من ناحيتنا نحن؛ لأن الإنسان هو "صورة الله ومثاله"، وهو المحور الإلهي الإنساني، لأن اشراق الحياة الجديدة جاء بتجسد الابن الوحيد له المجد، صَمَتَ صديقي بعض الوقت، وقال إنه عندما كان يذهب إلى الكنيسة، كان يسمع مجموعة من الأفكار والمُثُل الأخلاقية، ولم يكن لدى معظم الذين سمعهم أيُّ إحساس بأن محور رسالة يسوع هو الإنسان؛ لأن يسوع نفسه هو

مقومات الإنسان حتى بعد أبوقراط، وكُتب الطب اليونانية التي سادت العالم القديم.

"ابن الإنسان"، أي بشر حقيقي، وهو معنى هذا اللقب الآرامي الأصل أيضاً.

الإيمان، والاعتراف بالله والإنسان معاً:

يُعد قانون الإيمان النيقاوي (٣٢٥-٣٨١) صيغة شاملة تبدأ بـــ "خلق الإنسان"، وتنتهي بـــ "قيامة الإنسان"، وهي: "الله الآب ضابط الكل خالق السموات والأرض .. نزل من الســـماء ... وتجسَّـــد ... وصُـــلِب وقام في اليوم الثالث ... وبالروح القدس .. وقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي". وحياة الدهر الآتي ليست قضية "غيبية"، بل هي مُستعلنة في تجلي المسيح على جبل طابور، وفي رد الحياة للموتى وشفاء المرضى وتحرير الإنسان من سلطان الشيطان، وفك قيود الشر، وهو ما نعبِّر عنه أحياناً باسم "غفران الخطايا".

دار الحديثُ أيضاً حول مَن يُدعون مسيحيين بالاسم فقط، وقلت: لا يوجد مسيحي بالاسم إلا في الإطار الإجتماعي الذي ينتمي إليه كل بشر على وجه الأرض، أما في الواقع حسب الإيمان، المسيحي هو مَن يحيا تابعاً لنفس حياة ربنا يسوع المسيح.

هل الإيمان بأُلوهية يسوع هو إيمانٌ بقضية غيبية؟

بكل يقين لا، رغم أننا نرى في الحياة بشراً درسوا العهد الجديد وآمنوا بالمسيح. ولكن في داخل الكيان الإنساني نفسه، نجد التحول الذي قد يبدأ بتغير السلوك، ولكنه ينتقل إلى ما هو أسمى من السلوك الأخلاقي، إلا وهو الاتحاد بيسوع، وهو وما نراه في كتب قادة الحياة المستيكية شرقاً وغرباً من أنطونيوس الكبير في الشرق إلى إيكهارت في الغرب، وهم رهطٌ من الذين ارتحلوا من عالم المعرفة الواسع إلى حقيقة الاختبار الشخصي لذاك الذي هو أقربُ إلينا من نبضات القلب، وهو الرب نفسه، الذي يشاركنا وجودنا، وقد جاء لكي نشاركه كيانه وحياته الإلهية المتجسدة.

د. جورج حبيب بباوي